وأَنَّ أهله لم يقبلوه، فقصد الفرنج، فقبلوه، وخدموه، وحَضَرَ معهم نوبة قلنسوة؛ ضيعة من أعمال نابُلُس، قتلوا فيها ألف مسلم وهو نائم لم يتكلَّم كلمةً، وخاف منه الصَّالح إسماعيل، فبعث إليه ناصر الدين يغمور ليحتال عليه، ويحمله إلى دمشق، فقال: إنهما اتَّفقا على الصَّالح. ثم احتال الصَّالح على الجواد حتى قبضه وحبسه في عزَّتا وابن يغمور في قلعة دمشق، وكان الوزير [السامري][1] قد قصده، وطلب الفرنجُ الجوادَ، وقالوا: لا بُدَّ لنا منه، فأظهر أَنَّه قد مات، وأهله يقولون: إنه خنقه، والله أعلم، وكان ذلك في شوال، ودفن بقاسيون في تُرْبة المعظم.

وأما ابن يغمور، فأقام محبوساً بقلعة دمشق حتى مَلَكها الصَّالح أيوب، وبَعَثَ به ابنُ شيخ الشيوخ إلى مِصْر، فحبسه الصَّالح أيوب في الجُبّ، ثم شنق بعد مدَّة هو وأمين الدَّوْلة على قلعة القاهرة، [وسنذكرهما][1].

أبو بكر الشعيبي[2]

من أهل مَيَّافارِقِين.

كان صالحاً زاهداً، بعث إليه غازي مراراً يسأله الإذن [في زيارته][1]، فلم يأذن له، وقيل له: هل تطرق البلادَ التترُ؟ فرفع رأسه إلى السَّماء، وأنشد: [من الطويل]

وما كلُّ أسرار القلوب مباحةٌ ولا كلُّ ما حَلَّ الفؤادَ يُقالُ

وخرج إلى الشعيبة قريته، وقال: احفروا لي ها هنا، فبعد يومين أموت. فماتَ بعد يومين.

السَّنة الثانية والأربعون وست مئة

فيها عُزل القاضي الرَّفيع، وسببه أَنَّه كَتَبَ إلى الصَّالح إسماعيل يقول: قد حملتُ إلى خزانتك من أموال النَّاس ألف ألف دينار. فقال الصالح: ولا ألف ألف دِرْهم. وأوقف وزيره [السامري][1] على ورقته ـ وكان الله قد سَخَّر الصَّالح إسماعيل لوزيره، فلو قال له: مت. لقال لداعي الموت: أهلاً ومرحباً ـ وأنكر الوزير، فقال الرَّفيع: أنا

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «النجوم الزاهرة»: ٦/ ٣٤٩.

أقابله. فقال الوزير للصَّالح: هذا الرفيع قد أكل البلاد، وأقام علينا الشناعات، والمصلحة عزله ليتحقَّق النَّاسُ أنك ما أمرته بهذه الأشياء. فَعُزِلَ عن القضاء أول السنة، وأخذت [منه][1] مدارسه، وفوّض أمرها إلى ابن الصَّلاح، فأعطى العادلية للكمال التفليسي صهر الخويي، والشَّامية للتَّقي الحموي، والعذراوية لمحيي الدين بن الزكي، والأمينية لابن عبد الكافي، وغُيِّب الرفيع، واستقلَّ محيي الدين بالقضاء، واستناب الصَّدْر ابن سني الدولة، وحكم محيي الدين بإسقاط شهادات أصحاب الرَّفيع: العز بن القطان، والزين الحموي، والجمال بن سيدة، [والنصير ابن قاضي بعلبك][1]، والموفق الواسطي، وسالم المقدسي، [وابنه محمد لما فعلوا بالمسلمين، وأكلهم أموالهم بالباطل،][1] وكان المحنة العظمى [والطامة الكبرى][1] الواسطي [الملقب بالموفق][2]، فإنَّه أهلك الحرث والنسل، [فأهلك الله ذلك النسل][1].

وفيها ورد كتاب بدر الدين لؤلؤ صاحب المَوْصل يقول: إنني قد قررت على أهل الشام [قطيعة][1] في كلِّ سنة، على الغني عشرة دراهم، وعلى الوسط خمسة، وعلى الفقير درهم، وقرأ محيي الدين بن الزكي الكتاب على النَّاس، وشرعوا في الجباية.

وفيها كانت الوقعة العظيمة بين الخُوارَزْمية والفرنج.

لما نزل الخوارزمية غَزَّة بَعَثَ إليهم الصَّالح أيوب الأموال والخِلَع والخيل والأقمشة والعساكر، وأمرهم بالنُّزول على دمشق، فاتَّفق الصَّالح إسماعيل والنَّاصر داود والمنصور صاحب حِمْص مع الفرنج على الخُوارَزْمية وعسكر مصر، وكان الصَّالح [إسماعيل][1] قد أعطاهم الشَّقيف بعد أن عَذَّب واليه، واستأصله حيث امتنع من تسليمه، وخرج إسماعيل بنفسه [من دمشق، ومضى إلى الشقيف][1]، وسلَّمه إليهم، وكان عامراً، وسلَّم إليهم صفد وبلاد المسلمين، وكانت صفد خراباً، ولما اتَّفقوا مع الفرنج خرج صاحب حمص من دمشق بعسكر حمص إلى بلد الفرنج، وجهَّز النَّاصر عسكره من نابُلُس مع الظَّهير بن سُنْقُر الحلبي والوزيري، واجتمعوا بأَسْرهم على يافا، والخُوارَزْمية وعسكر مصر على غَزَّة، وساق صاحب حمص وعسكر دمشق تحت أعلام الفرنج، وعلى رؤوسهم الصُّلْبان، والأقساء في الأطلاب يصلِّبون على

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

المسلمين ويقسقسون عليهم، وبأيديهم كاساتُ الخمر والهنابات يسقونهم، وساقت الخُوارَزْمية وعسكر مصر، والتقوا على مكانٍ يقال له: قريبا[١]، وكانت الفرنج في الميمنة، وعسكر النَّاصر في الميسرة، وصاحب حمص في القلب، فأوَّل من انكسرت الميسرة، وهرب الوزيري، وأُسِرَ الظَّهير بن سُنْقُر، وجرح في عينه، وأخذ جميع ماله، وأصبح فقيراً، وانهزم صاحب حمص، ومالت الميمنة بالفرنج، فرأوا القلب والميسرة قد انكسروا، فخذلوا، وأحاطت بهم الخوارزمية، [وكان عسكر مصر قد انهزموا إلى قريب العريش، ورموا كوساتهم وأثقالهم، وثبتت الخوارزمية][٢]، وكان الفرنج ألفاً وخمس مئة فارس من المُصَلا عليهم، والكنود الكبار، وعشرة آلاف راجل، وما كانت إلا ساعة حتى حصدتهم الخوارزمية بالسُّيوف حصداً، وأسروا منهم ثمان مئة أسير، وكان يوماً عظيماً لم يجر مثله في زمن نور الدين وصلاح الدين، رحمهما الله تعالى.

قال المصنِّف رحمه الله: وكنتُ يومئذٍ بالقُدْس، فأصبحت ثاني يوم الكسرة إلى غَزَّة، فوجدتُ النَّاس يعدون القتلى بالقصب، فقالوا: هم زيادة على ثلاثين ألفاً. وبعثت الخوارزمية بالأسارى والرُّؤوس إلى مِصْر، والظَّهير بن سُنْقُر وجماعة من المسلمين في الجملة، وأما صاحب حمص، فما وصل دمشق إلا في نفرٍ يسير، ونُهبت خزائنه وخَيْلُه وسلاحه، وقُتِلَ أصحابه، ولقد بلغني أَنَّه طلب شاش علم يتعمَّم به، فما وجده، وجعل يبكي، ويقول: قد علمت أَنَّا لما سِرْنا تحت صُلْبان الفرنج أننا لا نفلح.

ووصل الأسارى إلى مِصْر، والظَّهير معهم، وعلقت الرؤوس على أبواب القاهرة، وامتلأتِ الحبوسُ من الأسارى، وجَهَّز الصَّالح أيوب معين الدِّين بن الشيخ لحصار دمشق.

وفيها توفي

شهاب الدِّين، أحمد ابن النَّاقد[٣]

وزير الخليفة. وكان أبوه وكيل أُمِّ الخليفة النَّاصر، ولما مات أبوه في أيام النَّاصر تشعثت أحوال أولاده، وصودروا، واستؤصلوا، وذهب جاههم، وأقاموا مدَّة إلى أن

(١) كذا في (ت) و(ش)، ولم أقف عليها.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) له ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ٢٣/١٠٨ـ١٠٩، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

ولي المستنصر، فاستوزر أحمد، ولقبه مؤيَّد الدِّين، وكان رجلاً صالحاً، فاضلاً عفيفاً، دَيِّناً، قارئاً للقرآن، [وتولى خالي محيي الدين أستاذ داره بعده][1].

الحسن بن سالم بن سلَّام[2]

نجم الدين.

كان أبوه من أكابر عدول دمشق يدعى بالشيخ الأمين، ونشأ نجمُ الدِّين على ما كان عليه أبوه، وكان ذا مروءة وعصبية، جَوَاداً [سمحاً][1] سخياً، كريم الأخلاق، حسن العِشْرة، يحبُّ الصَّالحين، ويزورهم، ويبرهم، وله في رمضان ضيافة لا يمنع منها أحداً، وتغيَّرت أحواله في آخر عمره، فإنَّه دخل في أشياء لا تليق بأبناء جنسه طمعاً في الدنيا، [وحكى لي][3] معين الدين بن الشيخ [قال:][1] آخر ما أوصاني الصَّالح أيوب أنني إذا فتحت دمشق [أن][1] أعلق ابنَ سَلاَّم بيده على بابه، لأَنَّ الذهب الذي بعثه إسماعيل إلى مقدَّمي دمشق في داره فُرِّق.

وكانت وفاته في ذي الحِجَّة، ودُفِنَ بقاسيون، ومات ولده، وتمزَّقت أمواله، [4]ودثرت أحواله، وبلغني أن ولده خلف ثلاث مئة ألف درهم وأكثر، فتفرقت أيدي سبأ، فرحمه الله على كل حال، لقد كان محط الرِّحال، وكعبة الآمال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد: ١١] وبلغني أنه صودر بمال كثير مع أنه كان من أكبر الدماشقة وأنفسهم].

عبد الله بن عمر[5]

ابن محمد بن حَمُّوية، أبو محمد، تاج الدين بن شيخ الشيوخ.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ٢٣/ ١١١ ـ ١١٢، وترجم له أبو شامة في «المذيل على الروضتين» (وفيات سنة ٦٤٣هـ): ٢/ ٧٥-٧٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) في (ت): قال معين الدين بن الشيخ: آخر...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٤) في (ت): وخلف ثلاث مئة ألف درهم وأكثر، فتفرقت أيدي سبأ، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٥) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٦٣٧ ـ ٦٣٨، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٦٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

كان فاضلاً، نَزِهاً، عفيفاً، شريفَ النَّفْس، عالي الهمة، قليلَ الطَّمع، لا يلتفتُ إلى أحدٍ من خَلْق الله [تعالى][1] لأجل الدُّنْيا لا إلى أهله ولا إلى غيرهم، وصنف التَّاريخ وغيره، [2]وكان صديقي، وكان ـ رحمه الله تعالى ـ يزورني ويحضر مجالسي، وقد أنشدني لنفسه، فقال]: [من البسيط]

لم ألقَ مستكبراً إلا تحوَّلَ لي ... عند اللِّقاءِ له الكِبْرُ الذي فيهِ
ولا حلا لي من الدُّنيا ولذَّتِها ... إلا مقابلتي للتِّيْه بالتِّيْهِ

وكانت وفاتُه في يوم الأربعاء سادس عشر صفر، وصُلِّي عليه بجامع دمشق، ودُفِنَ بمقابر الصُّوفية عند المُنَيْبع، [سمع أباه عمر بن محمد، والحافظ ابن عساكر، وشُهدة الكاتبة، وغيرهم][1]، وكان ولي مشيخة الخوانك بعد وفاةِ أخيه صَدْر الدِّين.

قال المصنف رحمه الله: ونقلتُ من خَطِّ ولده سعد الدين مسعود، قال: وُلِدَ والدي تاج الدين يوم الأحد رابع عشر شوال سنة اثنتين وسبعين وخمس مئة[3]، وكان مفنّناً [في العلوم، عارفاً][1] في الأصولين والفروع والتَّرسُّل [والتواريخ][1]، والهندسة والطب، وسمع الحديث الكثير، [وله مقاطع شعر جيدة][1]، وصنَّف الكُتُب منها «المؤنس في أصول الأشياء» ثماني مجلدات، و«كتاب السِّياسة الملوكية» للكامل صاحب مِصْر، و«المسالك والممالك» و«عطف الذيل» في التاريخ، وأمالي وتواريخ كثيرة، وسافر إلى المغرب سنة ثلاثٍ وتسعين، ووصل مَرَّاكُش، واتصل بالملك المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، فأحسن إليه، وقدَّمه على جماعةٍ، وهذه عادتهم [في الغرب][1] يولون الحرب العلماء والفضلاء، وجعله برسم من يقصد المغرب من الشَّام، يعرف به، ليحسن يعقوب إلى من يقصده، وأقام في خِدْمته إلى أن مات يعقوب، وخدم ولده محمداً، وعاد [تاج الدين][1] إلى الشَّام سنة ستٍّ مئة، وحَجَّ سنة أربع وست مئة مع أخيه صدر الدين وأولاده [وهي أول حجة حججتها من بغداد، وكان أمير حاج الشام دلدرم، وحج معنا شبل الدولة

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) في (ت): وصنف التاريخ وغيره، وأنشد...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) في التكملة: سأله المنذري عن مولده فقال: في يوم الأحد الرابع عشر من شوال سنة ست وستين وخمس مئة بدمشق.

الحسامي، ووقفنا يوم الأربعاء بعرفة، وكانت سنة مشهورة، كثيرة الخيرات، عظيمة البركات،][1] وأقام بالرُّها مدة عند الأشرف.

[ذكر أولاده][1]:

سعد الدين مسعود، ولد ليلة الأحد سادس عشر ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وخمس مئة.

وشرف الدين أبو بكر، ولد في المحرَّم سنة ثمانٍ وست مئة.

[وقال ولده سعد الدين: توفي يوم الأربعاء سادس عشر صفر، ودفن يوم الخميس على والده شيخ الشيوخ عن خمس وسبعين سنة، وكان مرضه بالسعال والإسهال][1].

عبد العزيز بن عبد الواحد بن إسماعيل[2]

أبو حامد، القاضي الملقب بالرَّفيع [[3] الذي فعل بأهل دمشق تلك الأفاعيل، ففعل الله تعالى به وبأصحابه كما فعل بأصحاب الفيل، وأرسل عليهم من العذاب طيراً أبابيل.

وحكى جماعة من أعيان دمشق] أنه كان فاسدَ العقيدة، دهرياً، مستهتراً بأمور الشريعة، يخرج إلى الجمعة سكراناً، وكذا كان يجلس في مجلس الحكم، وكانت داره مثل الحانات، [النِّساء بالرِّجال مختلطات، وكل هذه الأشياء شهد بها عندي جماعة من العدول الذين ما عن شهادتهم عدول][1].

ذِكْرُ مقتله:

[[4]حكى لي جماعةٌ ممن أثق بهم أَنَّ السَّامري بعث به] في الليل إلى قلعة بَعْلَبَك على بَغْلٍ ببرذعة لبعض النَّصارى، فاعتقله، واستأصله، ثم بعث به إلى مغارة [يقال لها

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ٢٣/ ١٠٩ـ١١١، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٦٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) في (ت): وقيل إنه...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٤) في (ت): بعث به أمين الدولة [السَّامري] في الليل...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

مغارة][1] أفقّه في جبل لبنان من ناحية السَّاحل، وبعث إليه عدلين من عدول بَعْلَبَك شهدا عليه ببيع أملاكه، فحكى [لي][1] أحدهما، قال: رأيته وعليه قندورة صغيرة، وعلى رأسه تخفيفة، فبكى، وقال: معكم شيء آكل؟ فلي ثلاثةُ أيام ما أكلت شيئاً. قال: فأطعمناه من زادنا، وشهدنا عليه ببيع أملاكه لأمين الدولة، ونزلنا من عنده، فبلغنا أَنَّ داود النَّصْراني [سيف النقمة][1] جاء إليه، وقال: قد أُمرنا بحملك إلى بَعْلَبَك. فأيقن بالهلاك، وخرج معهم، وقال: دعوني أُصلِّي ركعتين. فقال داود: صَلِّ. فقام يصلي، [فصلى ركعتين][1]، فأطال، فرفسه داود من رأس شقيف مطلٍّ على نهر إبراهيم، فوقع، فما وصل إلى الماء إلا وقد تقطَّع.

وحكى [لي آخر][1] أنه تعلَّق ذيله بسنٍّ الجبل، فما زال داود يضربه بالحجارة حتى قتله.

وأما الموفق الواسطي [[2]وكان ضد اسمه، فحكى لي أعيان الدماشقة أنه كان أساس البلايا، ومعدن المصائب والرزايا، فتح أبواب المظالم، وأوقع المسلمين في المغارم، وجسَّر الرفيع على خوض جهنم، وكان يقال إنه من ظلمه تعلَّم، وأخذ أموال الناس لنفسه على ما بلغني، وهي نحو ست مئة ألف درهم، وأنه في آخر عمره عذب عذاباً ما عذبه أحد من العالمين، وكسرت ساقاه، وصار عبرة للناظرين، ومات تحت الضرب، وألقي في مقابر اليهود والنصارى، ولم يجد له من دون الله أنصاراً، وأكلت لحمه الكلاب، وصار عبرة لأولي الألباب، ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[البروج: ١٢] وما هي من الظالمين ببعيد]. وسُرَّ الناس به.

الملك المغيث عمر بن الصالح أيوب[3]

كان ولداً حسناً، عاقلاً، دَيِّناً، أسره الصَّالح إسماعيل سنة ثمانٍ وثلاثين، وحبسه في بعض أبراج قلعة دمشق، وكان عاقلاً جَوَاداً، لم يحفظ عنه كلمة فحش، ولا كَسَرَ

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) في (ت): وأما الموفق الواسطي فهو كان أساس البلايا، أخذ من أموال الناس لنفسه ست مئة ألف درهم، وآخر أمره أنه عذب عذاباً عظيماً، وكسرت ساقاه ومات تحت الضرب، وألقي في مقابر اليهود والنصارى، وأكلت الكلاب لحمه..، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) له ترجمة في «مفرج الكروب»: ٥/ ٣٤٦، و«الوافي بالوفيات»: ٢٢/ ٤٣٩، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ٣٥١.

قلب أحد، وتخلَّى عنه أبوه بعدما بالغ واجتهد في خلاصه، فلم يقدر، [وما كان سبب وفاته إلا السَّامري، فإنَّه ضيَّق عليه،][(١)] وآذاه، فمات غماً وغبناً ليلة الجمعة ثاني عشرين ربيع الآخر في محبسه، وحمل إلى تُرْبة جده الكامل، فدفن بها، رحمه الله تعالى.

[ولقد صبر صبر الكرام، وسار إلى دار السلام، وآل مآل السامري إلى الدرك الأسفل من النار، فلا رحم الله تلك العظام][(٢)].

الملك السَّعيد عمر بن شهاب الدِّين غازي

[صاحبِ ميافارقين][(٢)].

كان شاباً، حسن الأخلاق، مليحَ الصُّورة، جَوَاداً، شجاعاً، وكان التَّتر قد استولوا على ديار بكر، وأخذوا خِلاط، فخرج غازي من مَيَّافارقين هارباً منهم ليستنجد عليهم الخليفة والملوك، وخرج معه ولده عمر، وأمير حسن بن تاج الملوك أخي غازي، فوصلوا إلى الهرماس لوداع غازي، فقال غازي لولده عمر: يا ولدي، المصلحة أَنْ ترجع إلى ميَّافارقين تحفظ المسلمين من التتر، وأنا أروح إما إلى بغداد وإما إلى مِصْر أستنجد الملوك، فقال: والله ما أفارقك، وجاء حسن بن تاج الملوك فجلس إلى جانبه، وأخرج سكِّيناً، وضرب عمر في خاصرته، وهرب ليرمي بنفسه في العين [ليغرقها][(٢)]، فصاح [غازي][(٢)]: أمسكوه، فقد قتل عمر ولدي. وقام غازي ليقتله، فقصده حسن ليقتله، فرمى عمر بنفسه على غازي، وقال لحسن: يا عدوَّ الله، قتلتني، وتقتل والدي. فضربه حسن بالسَّيف فقطع خاصرته، فوقع إلى الأرض، وأمر غازي بحسن فَقُطِّع قِطَعاً، وحُمِلَ عمر إلى الحِصْن، فدفن به، وحَزِنَ عليه والده حُزْناً عظيماً.

السنة الثالثة والأربعون وستّ مئة

فيها حَصَرَ معينُ الدِّين ابنُ الشيخ والخُوارَزْمية دمشق، وضايقوها، وقطعت الخُوارَزْمية على النَّاس الطُّرق، وزحفوا على البلد من كلِّ ناحية، وفي يوم الاثنين

(١) في (ت): وضيق أمين الدولة عليه وآذاه، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).